مدرسة الحوليات

ظهرت مدرسة الحوليات اثر نتائج الحرب العالمية الأولى الوخيمة وما أعقبها من أزمات اجتماعية ثم الازمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 التي ضربت البلدان الرأسمالية بالخصوص فقد ظهرت مدرسة الحوليات انطلاقا من أعمال **لوسيان فافر ومارك بلوك** بتأسيس المجلة التاريخية الاقتصادية الاجتماعية في1929 حيث قررا ان يضفيا على الدراسات التاريخية روحا جديدة ذات بعد قومي وطني يهدف الى تحصين الأجيال وترسيخ القيم الوطنية ،كما ستأخذ الدراسات التاريخية أبعادا اقتصادية بيولوجية وجغرافية وديمغرافية بمعنى الاهتمام بالإنسان في كل أبعاده ومشاغله ودوره في المجتمع.

وانطلاقا من الرؤية الجديدة للتاريخ انبثقت اهتمامات جديدة واكبت سيرورة المجتمع وتطوره فحل تاريخ البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذهنية محل التاريخ السياسي والدبلوماسي، ومع هذه الحركة التجديدية كانت مدرسة "ستراسبورغ" رائدة في هذا المجال وطفت تخصصات جديدة وثنائية الملمح مثل الديمغرافية التاريخية والتاريخ الاقتصادي والتاريخ الاجتماعي وهكذا اخذ التاريخ من العلوم الأخرى لكنه منحها الكثير في المقابل.

أفكارها :

1-الاهتمام بالزمن الراهن والقضايا الجديدة

2-اضفاء مفهوم جديد للزمن حسب احد مؤرخي هذه المدرسة وهو فرناند برودل الذي قسم الزمن الى ثلاثة أقسام كما سنرى.

3-الاستعانة بالعلوم وتقنيات أخرى في دراسة التاريخ; علم النفس- الإحصاء

4-الابتعاد عن الرد والتركيز عن الأبطال والزعماء والأساطير نحو الاهتمام بالمجتمع ومكوناته

5-ظهور تخصصات معرفية جديدة = تاريخ العقليات والذهنيات

6-اتساع مجال مفهوم الوثيقة ليشمل جميع مخلفات الحضارة= وثائق كتب مسلوكات مخططات

الانفتاح على ميادين وحقول العلم والأدب.

تطورها:

1-**مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية**: من حوليات التاريخ الاقتصادي الاجتماعي"إلى " الحوليات: اقتصادات مجتمعات حضارات"

بعد الحرب العالمية الثانية سيفرض التاريخ الجديد نفسه اعتمادا على مجلة " الحوليات: اقتصادات ،مجتمعات، حضارات E.S.C "وعلى معهد للبحث والتدريس, الشعبةالسادسة من المدرسة التطبيقية للدراسات العليا La 6 section de l'école pratique des hautes études وعلى شبكة من العلاقات داخل أوساط النشر والصحافة.

فبعد تحرير فرنسا 1946 والى غاية عام 1956 التي تصادف تاريخ وفاة لوسيان فيفر توجهت المدرسة في اتجاه يتجاوز المعطى السوسيو-اقتصادي المتمركز حول مفاهيم

الدورات والأزمات والظروف إلى منهج **البنيات** والمدد الطويلة. وفي هذا الإطار اقتحم فيفر حلقات تاريخية جديدة خولت له إمكانية استكشاف ميدان العقليات, مانحا المجلة عنوانا جديدا ومحتفظا بإدارتها مستعينا بمجموعة جديدة ضمت Braudel. … P. Leuillot- J Freidman –

ما بين 1956-1976 سيصبح **بروديل** موجهها والمسؤول عليها بعد أن أحاط نفسه بهيئة تضم مجموعة من الباحثين .وقد شق بروديل طريقه نحو التاريخ الجديد المنفصل عن التاريخ التقليدي متأثرا بدروس الجغرافيا الإنسانية وبكتاب " لوحة عن فرنسا " ل De la blache, وباطروحات إقليمية ل Blanchard و Sion وDemangeon المهتمين بخصائص البيئة الطبيعية أثناء دراسة التحولات التاريخية. كما استوحى تجربة لوفيفر L.Febvre الذي فتح حوارا بين التاريخ والجغرافيا في كتابه " الأرض والتطور البشري"وبنظرته في الكتابة التاريخية القائمة على أساس طرح المشكلات الكبرى L'histoire Problème في سياق الزمن التاريخي الطويل. فضلا عن الاحتكاك مع الاتجاهات الفكرية المختلفة كالمادية وخاصة البنيوية.

وسواء في سلسلة مقالاته ذات الطابع المنهجي التي جمعها ونشرها تحت عنوان " كتابات حول التاريخ" 1969 أو في أطروحته النموذجية " البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني" التي نشرت عام 1949 أوفي مجموع مؤلفاته الأخرى " الحضارات الكبرى للعالم المعاصر " 1963, و" الحضارة المادية: الاقتصاد والرأسمالية من القرن 15 الى القرن18 " 1980, أو في " دينامية الرأسمالية " 1985 استطاع بروديل استيعاب نماذج الدراسة البنيوية, واتجهت دراساته نحو الجغرافيا التاريخية وهو اتجاه سيؤثر على موضوع التاريخ بشكل جذري من حيث البرنامج وتشكيل المفاهيم.

مفاهيم التحليل البروديلي:

في أطروحته "La méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de philippe2 1558-1598» حاول بروديل تجسيد أهمية وفعالية المؤثر الجغرافي في ميلاد حضارة البحر المتوسط, كما أن ثنائية العنوان (المجال- الإنسان) وتقديم المجال عن الإنسان يكشف عن الثقل الذي يمثله المجال في صيرورة التاريخ المتوسطي وهو ما اصطلح عليه ب الجيو-تاريخ. واضعا ثلاث مكونات متدرجة من مستوى زمن الطبيعة إلى مستوى الزمن الاجتماعي فالزمن الفردي, وهذه الأزمنة متداخلة ومتكاملة لا تفهم إلا في إطار الشمولية التاريخية:

-المكون الأول: في قاعدة الهرم يتعلق بتاريخ شبه ثابت, تاريخ الإنسان في علاقاته مع الوسط الذي يحيط به, تاريخ بطيء السيل والتحول. مكون غالبا من حلقات متكررة.

-المكون الثاني: في الوسط وهو عبارة عن تاريخ ذو إيقاع بطيء, تاريخ بنيوي, تاريخ اجتماعي لأنه تاريخ الجماعات والتجمعات.

-المكون الثالث: في الرأس. هو تاريخ تقليدي, تاريخ ذو بعد فردي وليس ذا بعد إنساني. انه تاريخ التغيرات الوجيزة والسريعة.

وهذا التصميم للتاريخ يطرح جدلية بين المجال والزمن ويفرز تعددية في الأزمنة والآماد:
√زمن طويل هو المستوى العميق للواقع التاريخي, هو المركز الذي ينجذب حوله الزمن الدوري والزمن القصير. وهذا الأمد الطويل لايمكن أن يفهم إلا في نطاق مفهوم آخر موازي هو " البنية " فالأمد الطويل هو تاريخ بنيات(جغرافية اقتصادية اجتماعية ذهنية) بطيئة التطور, وهو مفهوم تاريخي, أي تركيب وهندسة. ويظهر هذا التحليل المبني على الأمد الطويل في الفصل الأول من الأطروحة والمعنون ب"حصة المجال " حيث يستعرض فيه مختلف الوحدات الجغرافية المكونة للمجال المتوسطي.
√الزمن الدوري أو زمن الحلقات الدورية. ويعني به بروديل تاريخ الظرفية Histoire de la conjoncture. تاريخ التذبذبات التي يعيشها الاقتصاد, كواقع ارتفاعات وهبوط الأسعار التي يمكن التعامل معها عبر مقاطع زمنية عريضة:10-20-50 سنة, والجدير بالذكر أن الظرفية امتدت مع بروديل لتشمل إضافة إلى دورات الأسعار ودورات الإنتاج الدورات الديمغرافية, والدورات البيولوجية. ولا يقتصر الفصل الثاني من الأطروحة على " الحلقات الدورية " فقط بل يجمع وعلى نحو جدلي البنيات والظرفيات (الزمنين الطويل والدوري) والملاحظ في إطار العلاقة الجدلية بين هذين المستويين, أن الدورات والبيدورات والأزمات إذا تكررت باستمرار ولم تؤدي إلى تراكم حامل لتغيير نوعي.تدرجت في البنية وأصبحت جزءا ايتجزا من الزمن الطويل.
√الزمن القصير: وهو المستوى الثالث من المستويات المفاهيمية والتاريخية للتحليل البرودلي, والمرتبط بالتاريخ التقليدي, للفرد, للحدث. انه زمن الإخباري والصحفي- الميكروتاريخ- والفصل الثالث من الأطروحة الذي يحمل عنوان " الأحداث السياسية والأفراد " يجمع بين تحليل المؤسسات السياسية والتنظيمات العسكرية للقوتين الاسبانية والعثمانية يعتبر مساهمة في التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري, وتنازلا منه للتاريخ الحدثي لكنه يجعله في المرتبة الثالثة والأخيرة تاركا المكان الرئيسي للقضايا والمشاكل الأساسية في تاريخ الإنسان.
إن بروديل وان كان في أطروحته قد هدف إلى استيعاب زمن التاريخ في تعدديته (زمن طويل, زمن دوري, زمن قصير) لفهم الواقع الاجتماعي في شموليته لبناء تاريخ كلي Histoire totale يهتم بكل ما يتصل بالحياة البشرية, فانه في كتابه " الحضارة المادية: الاقتصاد والرأسمالية " قد ركز على البعد الاقتصادي, وكأنه يجسد عمليا التصور المادي للتاريخ. حيث اخذ هذه المرة بعدا أوربيا بل عالميا في إطار تاريخ مقارن يشمل قارات (أوربا أسيا أفريقيا أمريكا)على مدى الأزمنة الحديثة. وفي الكتابين يسعى بروديل إلى نظرة علمية تسهم فيها العلوم الإنسانية. إذ لا حل بدراسة مبنية على تعدد المناهج وإنما بتوحيد العلوم في " علم إنسان " للوصول إلى استنباط منهجية واحدة تطبق على جميع علوم الإنسان وذلك برؤية شمولية.
بعض سمات المنهج البروديلي

-تلعب الجغرافيا دورا بارزا في التطور التاريخي, ويساهم الاقتصاد في تحقيق ذلك التطور ويؤثر على الإنسان والبيئة الجغرافية معا.

-عدم الفصل بين الجغرافي والاقتصادي والثقافي والسياسي وغيرها من جوانب الحياة الاجتماعية

-الاستناد إلى وثائق أصيلة والاستعانة بالعلوم المساعدة.

-التاريخ علم شمولي بطبيعته, وعلى المؤرخ إبراز تلك الشمولية من خلال تقسيم الواقع إلى حقب تاريخية تسهل دراستها عبر المدى الزمني الطويل.

-إن التاريخ الجديد متطورا باستمرار ولا يتعارض مع علوم الإنسان أو أن يحاول استيعابها وإنما فقط الاستفادة منها.

-مرحلة الخمسينيات والستينيات :

توجيه الاهتمام نحو ميادين الجغرافية التاريخية والتاريخ الاقتصادي والديمغرافية التاريخية. تمت الإشارة سابقا إلى إن الحوليات دشنت ميدان التاريخ الاقتصادي منذ ثلاثينيات القرن 20 لما تساءل المفكرون والمؤرخون والاقتصاديون حول أسباب التناوب بين فترات الازدهار والانكماش الاقتصاديين عبر فترات دورية باستثناء أزمة 1929 التي خرجت عن هذه القاعدة وكان لها وقع خاص. لذلك ظهرت أبحاث سبرت غور هذه الظاهرة. لعل أهمها أبحاث " سيمياند" « وهنري هوسير" " ارنست لابروس " فضلا عن أعمال " بروديل " التي أفرزت في إطار تلاحم الزمنين الطويل والدوري مجموعة من الأبحاث تخص الرواجات التجارية المنجزة على مجالات جغرافية شاسعة .